«لا حسد إلا في اثنتين. . .» الحديث.

٦٥ ـ باب
ذكر الموت وقصر الأمل

اعلم أيها العبد أنك راجع إلى ربك حيث سترحل من هذه الدنيا لزاماً؛ فإن نهاية الخلق فيها الموت لقوله تعالى: ﴿كل من عليها فان﴾ [الرحمن: ٢٦].

والموت أمر وجودي، فهو مخلوق؛ فقد قال تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة﴾ [الملك: ٢].

ووسائط قبض الروح هم الملائكة؛ كما قال تعالى: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾ [السجدة: ١١]، وقوله: ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة﴾ [الأنفال: ٥٠]، ولكن المميت على الحقيقة هو الله: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ [الزمر: ٤٢].

فإذا استقر العبد في دار الخلد؛ إما إلى جنة النعيم، أو إلى نار الجحيم؛ جيء بالموت على صورة كبش فيذبح على مرأى ومسمع أهل الجنة والنار حسب ما ورد في الخبر الصحيح عن النبي ﷺ.

ولذلك؛ فالموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن، وحيلولة بينهما على الصورة المعهودة، وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار، فمن علم ذلك؛ كان الموت أقوى داع له لإحسان العمل وعدم الغرور وقصر الأمل.

والأمل المذموم هو التسويف مع الإدمان على المعصية، وتأخير التوبة، والتمني على الله الأماني، نسأل الله السلامة.

قال الله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

يخبر تعالى إخباراً عاماً يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت؛ فهو تعالى

وحده الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون، وكذلك الملائكة وحملة العرش، وينفرد الواحد الأحد بالديمومة والبقاء، فيكون آخر كما كان أولاً.

وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس؛ فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت، فإذا انقضت المدة، وفرغت النطفة التي قدَّرَ الله وجودها من صلب آدم، وانتهت البرية؛ أقام الله القيامة، وجازى الخلائق بأعمالها؛ جليلها وحقيرها، قليلها وكثيرها، كبيرها وصغيرها؛ فلا يظلم أحداً مثقال ذرة، ولهذا قال ﴿إنما توفون أجوركم يوم القيامة﴾، فمن جنب النار ونجا منها وأدخل الجنة؛ فقد فاز كل الفوز.

ثم حذرهم المولى من الملهيات التي تحجب المرء عن الحقيقة فيغتر بدنياه، وينسى ربه ومولاه؛ فقال: ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ تصغيراً لشأنها، وتحقيراً لأمرها؛ فإنها دنيئة قليلة زائلة، فهي متاع متروكة أوشكت والله الذي لا إله إلا هو أن تضمحل عن أهلها؛ فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤].

لا تعلم نفس ماذا تكسب غداً في دنياها وأخراها، وكذلك لا تعلم أين تموت في بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان.

وهذه الآية حجة على المُسَوِّفينَ حيث يقول أحدهم: أتوب غداً، أتوب بعد غدٍ، ومن يملك غداً أو بعد غدٍ؟

ولذلك قال سهل بن عبد الله: وهذه دعوى النفس؛ كيف يتوب غداً وغداً لا يملكه؟!

وهذا نظر جيد وحجة بالغة.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

يخبر تعالى عن حلمه بخلقه مع ظلمهم، وأنه لو يؤاخذهم بما كسبوا ما ترك على

ظهر الأرض من دابة، ولكن الرب جل جلاله يحلم ويستر، وينظر إلى أجل مسمى فلا يعاجلهم بالعقوبة؛ إذ لو فعل ذلك لما بقي عليها من أحدٍ، ولهذا قال في صدر هذه الآية: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ * وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٩ ـ ١١].

يقول تعالى آمراً لعباده المؤمنين بكثرة ذكره، وناهياً لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك، ومخبراً لهم بأنه من التهى بمتاع الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره؛ فإنه من الخاسرين الذي يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ثم حثهم على الإنفاق في طاعته؛ لأن كل مفرط يندم عند الاحتضار، ويسأل طول المدة ولو شيئاً يسيراً؛ ليستعتب، ويستدرك ما فاته، وهيهات فقد كان ما كان، وأتى ما هو آت، وكل بحسب تفريطه، أما الكفار؛ فكما قال تعالى: ﴿وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال﴾ [إبراهيم: ٤٤]، ولا ينظر أحداً بعد حلول أجله وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقاً في قوله وسؤاله ممن لو رد لعاد إلى شر مما كان عليه، ولذا قال تعالى: ﴿والله خبير بما تعملون﴾.

وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ * فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ * قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ

تَعْلَمُونَ ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩ _ ١١٥].

يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت من الكافرين أو المفرطين في أمر الله تعالى، وقولهم عند ذلك وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته؛ فذكر تعالى أنهم يسألون الرجعة؛ فلا يجابون عند الاحتضار ويوم النشور ووقت العرض على الجبار، وحين يعرضون على النار وهم في غمرات عذاب الجحيم، وقوله: ﴿كلا﴾ حرف ردع وزجر؛ أي: لا نجيبه إلى ما طلب ولا نقبل منه.

ثم قال تعالى: ﴿ومن ورائهم برزخ﴾ تهديد لهؤلاء المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ، حيث يستمر به العذاب إلى يوم البعث.

فإذا جاء يوم البعث ونفخ في الصور نفخة النشور، وقام الناس من القبور؛ لا تنفعُ الأنساب يومئذٍ، ولا يرثي والد لولده، ولا يلوي عليه، فمن رجحت حسناته؛ فهو من الفائزين الناجين، ومن ثقلت سيئاته؛ فقد خاب وخسر وفاز بالصفقة الخاسرة، ثم يساق إلى جهنم لتلفحه لفحة تسيل لحومهم على أعقابهم.

ثم يبكتهم ربهم على ما ارتكبوه من الكفر والمآثم والمحارم والعظائم التي أوبقتهم في ذلك؛ فيقول لهم: قد أرسلت لكم الرسل، وأنزلت عليكم الكتب، وأزلت شبهكم، ولم يبق لكم حجة؛ فلا يجدون مفراً من الاعتراف، ولكنهم يطلبون الرجعة إلى الدنيا؛ فلا يجابون لأنه لا سبيل إلى الخروج، بل يقال لهم: امكثوا فيها صاغرين مهانين أذلاء، ولا تعودوا إلى سؤالكم هذا، فإنه لا جواب لكم عندي؛ فلا ينبس القوم بعدها بكلمة واحدة، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم.

ثم قال تعالى مذكراً لهم بذنوبهم في الدنيا وما كانوا يستهزؤون بعباده المؤمنين وأوليائه المتقين، فانشغلوا بهم عن معاملة ربهم؛ فهذا يوم العدل، فكما جزيتكم على كفركم واستهزائكم بنار تلظى؛ فإني أجزيهم اليوم بالسعادة والسلامة والجنة والنجاة من النار.

ثم ينبههم على ما أضاعوه في عمرهم القصير في الدنيا من طاعة الله تعالى وعبادته وحده، ولو صبروا في مدة الدنيا؛ لفازوا كما فاز أولياؤه المتقون، ولكنهم آثروا الفاني

على الباقي لظنهم أنهم مخلوقون عبثاً بلا قصد، ولا إرادة منهم ولا حكمة لنا، ولذلك كفرتم بالبعث.

ثم نزه الباري نفسه أن يخلق شيئاً عبثاً، فإنه الملك الحق المنزه عن ذلك لا إله إلا هو رب العرش الكريم.

وقال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦].

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى على البشر ذكراً يجلو عن أبصارهم وبصائرهم حجب الشهوات الملتهبة؛ فتشرق قلوبهم بأنوار المحبة والتعظيم لله الذي فطرهم، فيرثوا ذلاً وخضوعاً وسكينة وسكوناً لربهم الكبير المتعال.

ولم يمض على تنزُّل هذا الشفاء بضع سنين حتى عاتبهم ربهم؛ لأنهم لم يصلوا إلى المنزلة التي يريدها لهم؛ فاستبطأ المؤمنين بهذه الآيات.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كما في «صحيح مسلم»:

«ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتَبَنَا الله بهذه الآية: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾؛ إلا أربع سنين».

إنها رنة عتاب للمؤمنين الذين لم يبلغوا قمة الخشوع، حيث تدلُّ حركتهم البطيئة في السعي على ضعفٍ لا يرضاه الله للعصبة المؤمنة الأولى التي حملت المنهج الرَّبَّاني لتبليغه للناس كافة؛ لأنها جيل القدوة الذي استوى على سوقه في أحضان النبي الأسوة ﷺ.

ولذلك كان هذا التلويح بما كان عليه أهل الكتاب قبلهم من قسوة في القلوب تورث الفسق في الأعمال.

ومن هنا كان التحذير الشديد من المآل الذي انتهى إليه أهل الكتاب بطول الأمد.

ولكن أيتها النفس الإنسانية لا تيأسي؛ فإن الله يحيي القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحيارى بعد ضلتها، ويفرج الكروب بعد شدتها، كما يحيي الأرض الخاشعة

المجدبـة الهامدة بالغيث الهتان الوابل، كذلك يحيي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، فيولج إليها النور بعد أن كانت مقفلة لا يصل إليها واصل؛ فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال! الذي هو لما يشاء فعال، وهو الحكيم العدل في جميع الفعال، اللطيف الخبير الكبير المتعال.

بهـذه الأمـور المجتمعـة التي تأخذ بتلابيب القلوب إلى رحاب الخشوع حيث الرحمة والطمأنينة؛ صاغ العليم عتابه المؤثر الحاني المستبطىء للاستجابة الكاملة من تلك القلوب التي أفاض عليها باريها من فضله؛ فبعث فيهم رسولاً من أنفسهم يدعوهم لما يحييهم.

والآيات في الباب كَثيرةٌ معلومة.

٥٧٤ ـ وعن ابن عمـر رضي الله عنهما قال: أخذَ رسولُ الله ﷺ بِمنكبي فقالَ: «**كُنْ في الدُّنْيا كأنَّكَ غَرِيبٌ أو عَابِرُ سَبيلٍ**».

وكانَ ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسَيتَ، فَلا تَنْظَرِ الصَّباحَ، وإذَا أصْبَحْتَ، فَلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذ مِن صِحَّتِكَ لَمَرَضِكَ، ومِن حَياتِكَ لمَوتِكَ. رواه البخاري.

مضى توثيقه وشرحه برقم (٤٧١) في باب فضل الزهد في الدنيا.

٥٧٥ ـ وعنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «**مَا حَقُّ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ، لَهُ شَيْءٌ يُوصي فيهِ، يَبيتُ لَيْلَتَين إلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ**». متفقٌ عليه، هذا لفظ البخاري.

وفي رواية لمسلمٍ: «**يَبيتُ ثَلاثَ لَيالٍ**» قال ابن عمر: ما مرَّتْ عليَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سمعتُ رسولَ الله ﷺ قال ذلكَ إلاَّ وعندِي وصِيَّتي.

توثيق الحديث: أخرجه البخاري (٥ / ٣٥٥ ـ فتح)، ومسلم (١٦٢٧).

والرواية الثانية عند مسلم (١٦٢٧) (٤).

غريب الحديث: مكتوبة عنده: مسجلة ومشهود بها.

فقه الحديث: * استحباب المبادرة إلى كتابة الوصية؛ لأن المرء لا يعلم متى يأتيه

الموت، وكتابة الوصية لا يقتصر على المريض.

* ينبغي للمؤمن أن يكون ذاكراً للموت ومستعداً له.

* استجابة الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ؛ فقد كان ابن عمر رضي الله عنهما لا يبيت ليلة إلا ووصيته مكتوبة عنده.

٥٧٦ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: خَطَّ النَّبيُّ ﷺ خُطُوطاً فقال: **«هٰذا الإنسانُ، وهٰذا أجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إذ جَاءَ الخَطُّ الأقْرَبُ»** رواه البخاري.

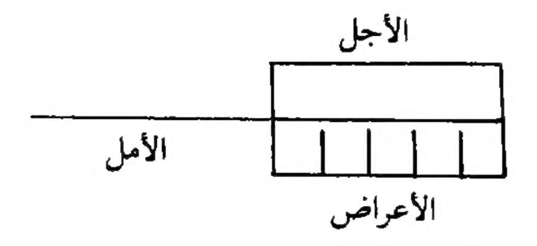
توثيق الحديث: أخرجه البخاري (١ / ٢٣٦ ـ فتح).

فقه الحديث: * جواز ضرب المثل واتخاذ وسائل الإيضاح عند التعليم؛ ليكون أبلغ في التصور عند التلقي.

* تحذير الإنسان من فجأة الموت وهو على غير استعداد له بالعمل الصالح.

* الموت لا يأتي إلا بغتة.

٥٧٧ ـ وعن ابن مسعودٍ رضي اللهُ عنه قال: خَطَّ النَّبيُّ ﷺ خطّاً مربَّعاً، وخطَّ خطّاً في الوسطِ خارجاً منهُ، وخطَّ خُطَطاً صِغَاراً إلى هٰذا الَّذي في الوسطِ مِنْ جانبه الَّذي في الوسطِ، فقالَ: **«هٰذا الإنسَانُ، وهٰذا أجَلُهُ مُحيطاً بِهِ ـ أوْ قَدْ أَحاطَ بِهِ ـ وهٰذا الَّذي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وهٰذه الخُطَطُ الصِّغَارُ الأعْرَاضُ، فَإن أخْطَأهُ هٰذا، نَهَشَهُ هٰذا، وإنْ أخْطَأهُ هٰذا نَهَشَهُ هٰذا»** رواه البخاري. وهٰذه صُورَته:



توثيق الحديث: أخرجه البخاري (١ / ٢٣٥ ـ ٢٣٦ ـ فتح).

غريب الحديث: **محيطاً به**: حافاً به.

نهشه: أصابه وأهلكه.

فقه الحديث: * الدنيا ملأى بالمشاق فمن صبر عليها أجر.

* أمل الإنسان أكثر من عمره؛ فلذلك يظن أنه سيحقق آماله قبل انقضاء أجله، ولكن الموت قد يفاجئه.

* على الإنسان أن يسارع للتوبة؛ فإنه لا يعلم ماذا يكسب غداً، ولا يعلم متى يموت، ولا في أي أرض يموت، وقد يكون أجله أمله الذي يسعى لتحقيقه.

٥٧٨ ـ وعن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنـهُ أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ قال: «**بـادِرُوا بالأعْمالِ سَبْعاً، هَل تَنْتَظِرونَ إلاَّ فَقْراً مُنْسِياً، أو غِنىً مُطغياً، أوْ مَرَضاً مُفْسِداً، أو هَرَماً مُفَنِّداً، أو مَوتاً مُجْهِزاً، أوِ الدَّجَّالَ، فَشَرُّ غائِبٍ يُنْتَظَرُ، أوِ السَّاعَةَ والسَّاعَةُ أدْهَى وأمَرُّ؟!**» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

مضى توثيقه وبيان ضعفه وشرحه برقم (**٩٣**) في باب المبادرة إلى الخيرات.

٥٧٩ ـ وعنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أكثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ» يعني: الموتَ، رواهُ الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

توثيق الحديث: صحيح لغيره ـ أخرجه الترمذي (**٢٣٠٧**)، وابن ماجه (**٤٢٥٨**)، والنسائي (**٤ / ٤**)، وأحمد (**٢ / ٢٩٢ ـ ٢٩٣**)، وغيرهم من طرق عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عنه به.

قلت: وهذا إسناد حسن.

وله شواهد منها حديث أنس وعمر بن الخطاب وابن عمر وأبي سعيد الخدري وزيد بن أسلم مرسلاً؛ فالحديث بها صحيح.

غريب الحديث: **هاذم اللذات:** قاطعها ومزيلها من الأصل.

فقه الحديث: * يسن لكل مسلم صحيح أو مريض ذكر الموت بقلبه ولسانه، والإكثار منه حتى يكون نصب عينيه، لأن ذلك أزجر عن المعصية وأدعى إلى الطاعة؛ لأن الموت منغص اللذات، نسأل الله بركة وروده.

* ذاكـر الموت إن كان في ضيق وسعه عليه، وإن كان في سعة ضيقها عليه، ولذلك يكون دائماً مستعداً للرحيل.

٥٨٠ ـ وعن أبيٍّ بن كعب رضي اللهُ عنه: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيلِ، قامَ فقالَ: «**يا أيها النَّاسُ اذْكُرُوا الله، جاءَتِ الرَّاجفَةُ، تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ، جاءَ المَوْتُ بما فيهِ، جاءَ المَوْتُ بما فيه**» قلتُ: يا رسولَ اللهِ إنِّي أكثرُ الصَّلاةَ عليكَ، فَكَمْ أجعَلُ لك من صلاتي؟ قال: «**ما شِئْتَ**» قلتُ: الرُّبُعَ؟ قال: «**ما شِئْتَ، فَإنْ زِدْتَ فَهُوَ خيْرٌ لَكَ**» قلتُ: فالنِّصفَ؟ قالَ: «**مَا شِئْتَ، فإنْ زِدْتَ فَهُوَ خيْرٌ لكَ**» قلتُ: فالثلثين؟ قالَ: «**مَا شِئْتَ فَإنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**» قلت: أجعلُ لكَ صلاتي كُلَّها؟ قال: «**إذاً تُكفى هَمُّكَ، ويُغْفَرَ لَكَ ذَنْبُكَ**» رواهُ الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

توثيق الحديث: شطره الأول ضعيف وشطره الأخير حسن لغيره ـ أخرجه الترمذي (٢٤٥٧)، وأحمد (٥ / ١٣٦) من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه به.

وأخرج الحاكم (٤ / ٣٠٨)، وأبو نعيم (٨ / ٣٧٧) شطره الأول بنحوه.

قلت: وإسناده ضعيف لسوء حفظ عبد الله بن محمد بن عقيل الطالبي.

وأما شطره الأخير؛ قلت: يا رسول الله! إني أكثر الصلاة... فله شاهد عند القاضي إسماعيل بن إسحاق في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (١٣)، وإسناده مرسل؛ فهو حسن به.

غريب الحديث: **الراجفة**: النفخة الأولى.

الرادفة: النفخة الثانية.

من صلاتي: من دعائي.

تكفي همك: المتعلق بالدارين، كما في الرواية المرسلة: «يكفيك الله هم الدنيا وهم الآخرة».

فقه الحديث: * أفضل القيام ما كان في ثلث الليل الأخير.

* الموت قريب من العبد، ولكن أكثر الناس غافلون عنه.

* فضل الصلاة على النبي ﷺ.

* الصلاة على رسول الله ﷺ من الذكر المشروع والذي تطمئن به القلوب، وتذهب الهموم والأحزان.

٦٦ - باب

استِحباب زيارة القبُور للرّجال وما يقوله الزائر

لا يوجد دليل على تخصيص الرجال دون النساء، بل النساء كالرجال في استحباب الزيارة للأدلة الآتية:

١ - عموم قوله ﷺ: «فزوروها»؛ فإن النهي المتقدم كان شاملاً للرجال والنساء على السواء، فلما نسخ النهي فصار الاستحباب يشمل الزوجين الرجال والنساء، فمن استثنى النساء من عموم اللفظ؛ فعليه الدليل. . . وهيهات.

٢ - اشتراك الرجال والنساء في العلة التي من أجلها استحبت زيارة القبور؛ «فإنها تذكر بالآخرة؛ كما في حديث بريدة الآتي، وفي حديث أنس عند الحاكم بسند حسن: «ألا فزوروها فإنها ترق القلب، وتدمع العين، وتذكر بالآخرة»، وفي حديث أبي سعيد الخدري عند أحمد والحاكم بسند صحيح: «فإن فيها عبرة».

٣ - ورود الرخصة لهن في زيارة القبور في أحاديث كثيرة منها ما أخرجه الحاكم والبيهقي بإسناد صحيح عن طريق عبد الله بن أبي مليكة؛ أن عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر؛ فقلت لها: يا أم المؤمنين! من أين أقبلت؟ قالت: من قبر عبد الرحمن بن أبي بكر. فقلت لها: أليس كان رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور؟ قالت: نعم، ثم أمر بزيارتها.

٤ - تعليم رسول الله ﷺ لعائشة تحية أهل القبور كما هو عند مسلم حيث قالت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: «قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون».

٥ - إقرار النبي ﷺ المرأة التي رآها عند القبر تبكي؛ فقال لها: «اتقي الله

واصبري»، وقد مضى برقم (٣١) في باب الصبر.

لكن ينبغي لهن عدم الإكثار سدّاً لاتخاذ ذلك ذريعة للصياح والنواح وتضييع حق الـزوج والتبرج، ولهذا ثبت عن رسول الله ﷺ قوله: «لعن الله زوّارات القبور»؛ أي: المكثرات من الزيارة، وروي بلفظ: «زائرات» وهو منكر؛ لأن في إسناده أبو صالح مولى أم هانىء وهو ضعيف.

وهذا ما ذهب إليه جمع من أهل العلم؛ كالحافظ ابن حجر، والعيني، والقرطبي، والشوكاني، والصنعاني وغيرهم.

٥٨١ ـ عن بُرَيْدَةَ رضي اللهُ عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُم عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ فَزُورُوهَا» رواهُ مسلم.

توثيق الحديث: أخرجه مسلم (٩٧٧).

فقه الحديث: * حديث رسول الله ﷺ فيه الناسخ والمنسوخ كما في كتاب الله عز وجل، وهذا إنما يكون في الأوامر والنواهي أما في الخبر عن الله عز وجل أو عن رسوله ﷺ؛ فلا يجوز النسخ في الأخبار البتة.

* النهي حكمة إذا ورد أن يتلقى باستعمال ترك ما نهى عنه والامتناع منه؛ لأنه محمول على الخطر والتحريم والمنع حتى يصحبه دليل من فحوى القصة والخطاب أو دليل من غير ذلك يخرجه من هذا الباب إلى باب الإرشاد والندب.

* النهي عن زيارة القبور منسوخ على ما جاء في هذا الحديث.

* الحث على زيارة القبـور على وجه الاستحباب والندب؛ لأن الأمر جاء بعد حظر؛ فهو للإباحة كما هو مقرر في الأصول.

* العلة في زيارة القبور أنها تذكر بالآخرة، وترقق القلب، وتدمع العين، وتذكر بالموت، وتقصر الأمل.

* زيارة القبور لا تعني الاستعانة بالموتى ودعاء من فيها والاستغاثة بهم؛ لأن ذلك شرك ينافي حكمة الزيارة المشروعة، ولذلك فهذه الزيارة البدعية ممنوعة للرجال والنساء على السواء.

٥٨٢ ـ وعن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت: كان رسولُ اللهِ ﷺ، كُلَّما كانَ ليلتها منْ رسولِ الله ﷺ يخرُجُ من آخِرِ اللَّيْلِ إلى البقيعِ، فيقولُ: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤمِنينَ، وأتَـاكُمْ ما تُوعَـدُونَ، غداً مُؤجَّلُونَ، وإنَّـا إنْ شاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقُونَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأهْلِ بَقيعِ الغَرْقَدِ» رواهُ مسلم.

توثيق الحديث: أخرجه مسلم (٩٧٤).

غريب الحديث: **البقيع**: مقبرة أهل المدينة.

أتاكم ما توعدون غداً: جاءكم ما كنتم توعدون بوقوعه في الغد.

مؤجلون: المراد بالأجل مدة ما بين الموت إلى النشور.

الغرقد: نوع من شجر الشوك، وسميت مقبرة المدينة بذلك؛ لأن هذا النوع من الشجر كان موجوداً فيها.

فقه الحديث: * جواز زيارة المقابر في الليل.

* الأموات عاينوا ما وعدهم الله به من نعيم أو عذاب، وفي ذلك إثبات عذاب القبر ونعيمه.

* مصير كل حي هو الموت.

* استحباب الاستغفار للمؤمنين وأن ذلك ينفعهم.

* في معنى الاستثناء في قوله ﷺ: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» قولان:

أحدهما: أنه مردود على معنى قوله: «دار قوم مؤمنين»؛ أي: وإنا بكم لاحقون على حال الإيمان إن شاء الله؛ لأن الفتنة لا يأمنها مؤمن، نسأل الله السلامة.

الآخر: أنه ليس على سبيل الشك، ولكنها لغة العرب، ألا ترى قوله تعالى: ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾ [الفتح: ٢٧]، والشك لا سبيل إلى نسبته إلى الله تعالى عن ذلك علام الغيوب.

٥٨٣ ـ وعن بُرَيْدَةَ رضي اللهُ عنهُ، قال: كانَ النَّبيُّ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إذا خَرَجُوا إلى المَقَابرِ أنْ يَقُول قَائِلُهُم: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ أهْلَ الدِّيَارِ مِنَ المُؤمِنينَ والمُسْلِمِينَ وإنَّا إنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقُونَ، أسأَلُ اللهَ لَنَا ولَكُمُ العافِيَةَ» رواهُ مسلم.

توثيق الحديث: أخرجه مسلم (٩٧٥).

فقه الحديث: * حرص النبي ﷺ على تعليم أمته ما ينفعهم.

* العلم قبل العمل، ولذلك كان الرسول يعلمهم قبل أن يعملوا.

* لا يجوز الإقدام على عبادة بغير علم.

* استحباب الدعاء للموتى، وإشراك نفسه بالدعاء، وتخصيص السلام والدعاء بأهل الإيمان.

٥٨٤ - وعن ابن عَبَّـاسٍ رضي اللهُ عنهما، قال: مَرَّ رسولُ اللهِ ﷺ بقُبُورٍ بالمدينَةِ فأقْبَلَ عَلَيْهِمْ بوجْهِه فقالَ: «**السَّلامُ علَيْكُمْ يا أهْلَ القُبُورِ، يَغْفِرُ اللهُ لَنا ولَكُمْ أنْتم سَلَفُنا ونحنُ بالأثَرِ**» رواهُ الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

توثيق الحديث: ضعيف - أخرجه الترمذي (١٠٥٣)، وفي سنده قابوس بن أبي ظبيان رديء الحفظ وبخاصة عن أبيه، وهذا من ذلك.

غريب الحديث: سلفنا: من مات قبل الإنسان ممن يعز عليه.

نحن بالأثر: تابعون لكم عن قرب.

فقه الحديث: * معناه ثابت في الأحاديث الصحيحة المتقدمة كحديث عائشة وبريدة رضي الله عنهما؛ إلا أن قوله: «فأقبل عليهم بوجهه»؛ منكرة لتفرد قابوس بها وقد علمت حاله.

وعلى الجملة فقد أغنانا الله بالصحيح عن الضعيف.

٦٧ - باب

كراهة تمنّي الموت بسبب ضُرّ نزل به ولا بأس به لخوف الفتنة في الدين

لا يشك عاقل أن حياة المؤمن خير له؛ لأنه إذا مات انقطع عمله، أما وهو لا يزال حيّاً؛ فإن كان صالحاً ازداد إحساناً، وإن كان مسيئاً فلعله يرجع عن إساءته ويعلن توبته، ويطلب الرضى.

ولكن إذا خشي العبد على نفسه الوقوع في الفتن، وخاف أن يلحقه ضر بدينه؛